دراسةٌ في آراءِ نصر حامد ابو زيد في الدراساتِ القرآنيةِ

محمد هاشم جبار مهدي العوادي
مديرية تربية ذي قار

Study in Nasr Hamid Abu Zaid's Views in Quranic Studies

Muhammad Hashem Jabbar Mahdi Al-Awadi
Dhi Qar Education Directorate
Email: mohammedalmuswi4@gmail.com

ملخص البحث

يدرس البحث اسم وشخصية نصر حامد أبو زيد، ومراحله الدراسية الى أن أصبح مؤلفًا ومعروفًا حيث تم التطرق الى المؤتمرات التي حصل بها على الجوائز، امّا فيما يخص مؤلفاته الصادرة عنه حيث عرض البحث كتاباته في مفهوم النص القرآني ، ودراسته في علوم القرآن حيث تكفل البحث بالرد على كتاباته في مفهوم النص ، ثم تبيان أبرز البواعث التي دعت الى تأليف كتابه ، والفوائد المتحصلة من تأليفه حيث توصل الباحث الى مجموعة من الثمرات كان منها:

إنّ الدكتور نصر حامد ابو زيد عن طريق عرضه لمباحث علوم القرآن والوحي استطاع أن يقلب الموازين على ما هو متعارف عليه عند الباحثين في هذا المجال، لذا فأغلب ابحاثه مرفوضة عقلًا .

قام البحث بعرض مباحث كتاب مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن) ، ومناقشتها والرد عليها لأنّها لا تدور في محور صحيح.

إنّ الدكتور نصر حامد ابو زيد قد حصل على العديد من الجوائز ، وهذامذكور ضمن طيات البحث وهذا الامر يدل على تفوقه الذهني.

الكلمات المفتاحية:آراء، نصر حامد أبو زيد، الدراسات القرآنية .

Abstract

The research dealt with the name and character of Nasr Hamid Abu Zeid and his stages of study until he became a author and well-known where he addressed the conferences in which he received the awards with regard to his writings, the research presented his writings in the concept of Qur'an text and his study in the science of the Qur 'an. The research ensured that his writings were answered in the concept of the text and thus the most important motives for writing his book and the benefits derived from its composition. The researcher came up with a series of fruits, including:

Dr. Nasr Hamid Abu Zeid, through his presentation to Quranic and Revelatory scholars, tipped the scales on what is known to researchers in this field, so most of his research is reasonably unacceptable.

The research examined, discussed and responded to the book "The Concept of Text" (Study in Qur 'an Sciences) because it is not in a proper axis.

Dr. Nasr Hamid Abu Zeid has received many awards. This is what is mentioned in the folders of the research. This indicates his mental superiority.

Keywords: Views, Nasr Hamid Abu Zeid, Studies, Quranic.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد:

يعد موضوع دراسة في آراء ابو زيد في الدراسات القرآنية من المواضيع التي نحتاج الى التطرق اليها في الوقت الحاضر ؛ نظرًا لما طرحه الدكتور ابو زيد في الأوساط العلمية من مواضيع وانتقادات تستدعي التوقف عندها ، فبعضها يحتاج الى ردود والبعض الاخر الى مناقشات مطولة ، فهو يطرح مواضيع قرآنية قيمة ولكنه يخرجها بتخريج لا يمكن القبول به والسكوت عنه ؛ لذا كان حريًا بالباحثين في علوم القرآن الكريم أن يكونوا على اطلاع كامل بالطروحات الموجهة من قبله ومناقشتها مناقشة علمية والرد عليها.

بناءً على هذا جاء البحث لهذا الغرض ولكن نظرًا لعدم سعته فهو لا يخلوا من النقص ، فهذا الموضوع يتطلب جهدًا وفيرًا ووقتًا مفتوحًا لكي يعطى حقه جيدًا من حيث الإحاطة والشمول، لذا جاءت المباحث على التوزيع الذي لا بد منه ، فتوكلت على الله تعالى راسمًا المنهج على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

أمّا المقدمة فها هي بين ايدينا متضمنةً عرضًا موجزًا لمباحث البحث وما يتعلق به.

وأمّا المبحث الأول الذي كان عنوانه (السيرة الذاتية للدكتور نصر حامد ابو زيد)، والذي تحدث عن اسمه وشخصيته ومراحله الدراسية الى أن أصبح مؤلفًا معروفًا ، وكذلك بين الجوائز التي حصل عليها في عدة مؤتمرات وتطرق البحث الى أهم المؤلفات الصادرة عنه.

وأمّا المبحث الثاني والذي عنون بعرض مباحث كتابه (مفهوم النص دراسة في علوم القرآن) والذي تكفل بعرض مباحث كتاب مفهوم النص والرد عليها ، بعد ذلك بين

البحث أبرز البواعث التي دعت الى تأليف هذا الكتاب والفوائد المتحصلة من تأليفه.

وأمّا الخاتمة فهي عبارة عن الثمرات التي توصل اليها البحث.

وفي الختام توجد قائمة مفصلة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

والحمد لله رب العالمين اولًا واخرًا

المبحث الأول

السيرة الذاتية للدكتور نصر حامد أبو زيد

أولًا:اسمه وشخصيته ومسيرته العلمية:

ولد نصر أبو زيد في إحدى قرى طنطا في ١٠ يوليو ١٩٤٣، ونشأ في أسرة ريفية بسيطة، في البداية لم يحصل على شهادة الثانوية العامة التوجيهية ليستطيع استكمال دراسته الجامعية؛ لأنّ أسرته لم تكن لتستطيع أن تنفق عليه في الجامعة، لهذا اكتفى في البداية بالحصول على دبلوم المدارس الثانوية الصناعية قسم اللاسلكي عام ١٩٦٠م[١].

حصل نصر علي الليسانس من قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٢م بتقدير ممتاز، ثم ماجستير من نفس القسم والكلية في الدراسات الإسلامية عام ١٩٧٦م، وأيضا بتقدير ممتاز، ثم دكتوراه من القسم والكلية نفسها في الدراسات الإسلامية عام ١٩٧٩م بتقدير مرتبة الشرف الأولى[٢].

ثانيًا :الجوائز التي حصل عليها:

تلقى الدكتور نصر حامد ابو زيد جوائز منها : في سنة ١٩٧٥ – ١٩٧٧ تلقى منحة من مؤسسة فورد للدراسة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، وفي سنة ١٩٧٨ – ١٩٧٩ منحة من مركز دراسات الشرق الأوسط ، جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، ومن سنة ١٩٨٥ – ١٩٨٩ عين في اليابان ، جامعة أوساكا للغات الأجنبية أستاذًا زائرًا ، أمّا في سنة

(١) نصر_حامد_أبو_زيد/https://ar.m.wikipedia.org/wiki

(٢) المصدر نفسه .

١٩٩٥ وحتى الآن فيعمل أستاذًا زائرًا في جامعة ليدن بهولندا[١].

منحته مؤسسة ابن رشد للفكر الحر جائزتها - والتي تتخذ من برلين مقرا لها وذلك عن مجمل أعماله التي وصفتها لجنة التحكيم بأنها قراءة معاصرة للقرآن تقرب بين الفكر الإسلامي والحداثة [٢]

ثالثًا :مؤلفاته

للدكتور نصر حامد ابو زيد عدة مؤلفات في مجالات متعددة منها [٣] :

١- الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، دار التنوير، بيروت، ط٣، ١٩٩٣. صدرت الطبعة الرابعة عن المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ١٩٩٦.

٢- فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي، دار التنوير، بيروت، ط٢، ١٩٩٣. صدرت الطبعة الثالثة عن المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦.

٣- أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السميوطيقا، إشراف مشترك مع سيزا قاسم، دار إلياس العصرية، القاهرة، ١٩٨٦. ودار عيون، الدار البيضاء، .١٩٨٧

٤- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ط٢، ١٩٩٤. والمركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط٣، ١٩٩٦..

٥- إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط٤، ١٩٩٥.

٦- الإمام الشافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطية، ط١ دار سينا بالقاهرة ١٩٩٢، ط٢ مكتبة مدبولي بالقاهرة، .١٩٩٦

(١) ينظر : مفهوم النصص دراسة في علوم القرآن ، للدكتور نصر حامد أبو زيد - عرض ونقد ،الشريجي: محمّد يوسف ، ٤ .

(٢) المصدر نفسه، ٤ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه ، ٥ .

٧- نقد الخطاب الديني، دار سينا بالقاهرة، ط٢ ١٩٩٤، ومكتبة مدبولي بالقاهرة ط٣، ١٩٩٥م. (ترجم إلى الألمانية بعنوان: Islam und Politik, kritik des Religiosen Diskurses ترجمة: شريفة مجدي، وتقديم: نافيد كرماني، دار نشر ديبا Dipa فرانكفورت ١٩٩٦م.

٨- المرأة في خطاب الأزمة، دار نصوص بالقاهرة، ١٩٩٥.

٩- التفكير في زمن التكفير، دار سينا بالقاهرة، ط١ ١٩٩٥، ومكتبة مدبولي بالقاهرة، ط٢ ١٩٩٥.

١٠- الخلافة وسلطة الأمة، تقديم ودراسة، دار نهر بالقاهرة، ١٩٩٥.

١١- القول المفيد في قصة أبو زيد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.

١٢- النص، السلطة، الحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط٣، ١٩٩٧.

١٣- الخطاب والتأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط١ ٢٠٠٠م.

١٤- هكذا تكلم ابن عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ط١ ٢٠٠٢، ط٢ المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء ٢٠٠٤.

وله أكثر من (٣٠) مقالة، منها:

١- المنهج النفعي في فهم النصوص الدينية (رد على شحرور)، مجلة الهلال، القاهرة، مارس ١٩٩٢.

٢- محاولة قراءة المسكوت عنه في خطاب ابن عربي، مجلة الهلال، القاهرة، مايو ١٩٩٢.

٣- قراءة التراث في كتابات احمد صادق سعد، مجلة أدب ونقد، القاهرة، العدد ٨٧ نوفمبر ١٩٩٢.

٤- قراءة التراث وعدسة الناقد الحداثي، مجلة القاهرة، العدد ١٢٦ مايو ١٩٩٢.

٥- ابن رشد التأويل والتعددية، مجلة العربي، الكويت، العدد: ٤١٤، مايو ١٩٩٣.

٦-القراءة الأدبية للقرآن إشكالياتها قديما وحديثا، مجلة الكرمل، مؤسسة الكرمل الثقافية رام الله فلسطين، العدد ٥٠، ص: ١٣٣-١٥٥.

٧- اللغة-الوجود-القرآن دراسة في الفكر الصوفي، مجلة الكرمل، مؤسسة الكرمل الثقافية رام الله فلسطين، العدد ٦٢، شتاء ١٩٩٩.

المبحث الثاني

عرض مباحث كتابه

(مفهوم النص دراسة في علوم القرآن)

أولاً: تقسيم الكتاب:

قسم المؤلف كتابه على ثلاثة أبواب:

الأول: النص في الثقافة (التشكل والتشكيل)

الثاني: آليات النص.

الثالث: تحويل مفهوم النص ووظيفته، وفي هذا الباب تناول كتاب "جواهر القرآن" لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، تناولا نقديا من وجهة نظر كون القرآن منتجا ثقافيا، وآثرت ألّا ألخص هذا الشرح نظرا لصعوبة اختصاره ؛ ولأنّ ما سبقه من أبواب تغني عن الإعادة.

وقد تناول المؤلف هذه الأبواب بناء على ما جاء في المقدمة سابقا.

الباب الأول: النص في الثقافة (التشكل والتشكيل)

الفصل الأول: مفهوم الوحي

القرآن وحي.

في البيئة التي تشكل فيها القرآن ساد التصور بأنّ للشعراء و الكهان علاقة اتصال بالجن عبر شفرة لا يعرفها غيرهم، و الوحي في لغة تلك الثقافة – واللغة من مكونات الواقع

الثقافي- كانت تعني اتصالا بين طرفين كل منهما في مرتبة مختلفة عن الأخرى بشفرة لا يعرفها غير الطرفين، فكذلك "القرآن يستخدم لفظ (الوحي) للدلالة على الاتصال بين الشياطين و الكفار"[١]، ثم سمى القرآن الوحي إلقاء على النبي ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلًا ﴾[٢]، و كذلك كان شائعا في تلك البيئة أنّ الاتصال بين الجن و الإنس يسمى إلقاء اعتمادا على قول القرآن ﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ ﴾[٣] أي الكهان[٤].

"وهذا كله يؤكد أن ظاهرة الوحي -القرآن- لم تكن مفارقة للواقع ، أو تمثل وثبا عليه و تجاوزا لقوانينه، بل كانت جزءا من مفاهيم الثقافة"[٥].

ولولا وجود هذه الظاهرة عندهم لما فهموا معنى أنّ القرآن وحي ؛ "ولذلك لا نجد من العرب المعاصرين لنزول القرآن اعتراضا على ظاهرة الوحي ذاتها"[٦].

فوجود ظاهرتي (الكهانة والسحر) والشعر شرطان للإيمان بالوحي (القرآن)

و لكن المؤلف قال بأنّه لولا اعتقادهم بوحي الجان لما كان الوحي الإلهي، فوحي الجان "شرط" في فهم الوحي الإلهي و بالتالي شرط في وجوده ؛ ولذلك قال: "لقد كان ارتباط ظاهرتي الشعر و الكهانة "بالجن" في العقل العربي -وما ارتبط بهما من اعتقاد العربي بإمكانية الاتصال بين البشر و الجن ، هو الأساس الثقافي لظاهرة الوحي الديني ذاتها" يقصد بالوحي الديني: "الوحيَ في تصور علماء المسلمين" فهو بذلك يطبق ما التزمه في المقدمة بقوله: "الفصل بين ما يطرحه النص عن نفسه و بين ما صاغته عنه الثقافة فصل تعسفي"[٧].

(١) مفهوم النصص (دراسة في علوم القرآن) ، ابو زيد ، نر حامد ، ط١، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ١٩٩٠م ، ٤٣ .

(٢) سورة المزمل ، الآية :٥ .

(٣) سورة الشعراء ، الآية :٢٢٣ .

(٤) مفهوم النصص، مصدر سابق ابو زيد ، نر حامد ، ٤٥، مع أن الآية لا تخبر عن الكهان بل تخبر عن أن الشياطين هم الذين يلقون أسماعهم! .

(٥) المصدر نفسه ، ٣٨ .

(٦) المصدر نفسه، ٣٨ .

(٧) المصدر نفسه، ٢٧ .

وأمّا أنّ العرب لم يعترضوا على الوحي فهذا مجانب للحقيقة والواقع، بل اعترضوا على عملية الوحي نفسها من حيث أن يوحي الله لإنسان، فحكموا باستحالة هذا الأمر، بالإضافة إلى اعتراضهم على شخص الموحى إليه أيضا، و هذا ما يحكيه التاريخ الواقعي لا الخيال والأوهام، بل هذا ما ينطق به النص نفسه حيث قال: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[1] ، فعجبهم كان من الوحي إلى رجل بشري، و قال: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾[2] ، فالآية تنص على أنهم أساؤوا إلى الله عندما نفوا أن يكون الله منزلا لشيء على أي أحد من البشر، قال الطاهر ابن عاشور في تفسير نفي المشركين الوارد في الآية: " نفي الإرسال والإنزال والوحي".

أما في مرحلة تشكيل النص للثقافة فقد جعل النص من الجن مسلمين وكافرين، وصالحين وقاسطين، وصبغهم بصبغته الخاصة.

ثم تساءل المؤلف عن طبيعة الوحي و كيفيته، فاكتشف أنّ العلماء يتصورون بأنّ الوحي إرسال رسالة مع جبريل إلى الواقع [بما فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)] بناء على الآيات الكثيرة والأحاديث المتواترة ، وهذا يعني وجودا للنص سابقا على الواقع بما يناقض مفهوم النص ، "والذي يهمنا هنا أن نلاحظ أنّ هذا الرأي يتصور وجودا خطيا سابقا في اللوح المحفوظ ، وفي هذا التصور ما فيه من إهدار لجدلية العلاقة بين النص والواقع الثقافي"[3].

و كذلك النبوة، من إنتاج الواقع الثقافي فقد ساد في ذلك الواقع أن السحرة والكهان ذوو خيال عال خصب ، وهم قادرون على استخدامه بصورة مختلفة عن سائر البشر، " إنّ التشابه و التماثل بين إحدى حالات الوحي و بين الرؤيا أمر مؤكد في الثقافة العربية الإسلامية، سواء قبل الإسلام –مرتبطًا بالعرافة و الكهانة– أو بعده، إنّ ما يحدث للأنبياء

(١) سورة يونس ، الآية :٢ .
(٢) سورة الانعام ، الآية :٩١ .
(٣) مفهوم النص، مصدر سابق ، ابو زيد ، نر حامد ، ٦٠

شبيه بما يحدث للنائم في حلمه مع فارق الدرجة "[١].

"و في ظل هذا التصور لا تكون النبوة ظاهرة فوقية مفارقة للواقع"[٢].

مع أنّه لا تلازم بين كون جبريل عليه السلام مرسلا من الله ، وبين قضية أخرى هي قضية اللوح المحفوظ ، فهاهنا وجودان للنص سابقان على الواقع وهما حادثان لا كما يتوهم المؤلف، فضلًا عن وجود الكلام القائم في ذات الله تعالى ولكنه أزلي أبدي، وهذا ما يقوله العلماء عن القرآن ، ثم في إنكاره لكون القرآن مكتوبا في اللوح مغالطة كبيرة في جعل المقدمة نتيجة، كأنّه يقول (النتيجة هي: القرآن مصنوع في الواقع، والسبب هو: أن القرآن مصنوع في الواقع) ، ومع ذلك فهو يجعل نظريته (إنتاج النص) حقيقة بديهية متفقا عليها بين كل البشر![٣] ، حيث قال :"إنّ القول بأنّ النص منتج ثقافي يكون في هذه الحالة قضية بديهية لا تحتاج إلى إثبات" [٤] ، "وهو ما نعتده وتعتده معنا الأمم العربية أصلا"![٥].

فوجود ظاهرتي (الكهانة والسحر) والشعر شرطان للإيمان بالنبوة، إذ لولا وجودهما لما صدق أحد من أهل تلك الثقافة بنبوة النبي.

الفصل الثاني: المتلقي الأول للنص

١ – شخصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

وكذلك النبي نفسه من إنتاج الواقع!لأنه "كان ابن المجتمع و نتاجه"[٦].

"لقد كان محمد المستقبل الأول للنص و مبلغه جزءًا من الواقع و المجتمع"[٧]، والواقع الذي نشأ فيه يحتوي على نمطين، النمط السائد القديم ، والنمط النقيض الجديد الذي

(١) مفهوم النص، ٥٨.

(٢) المصدر نفسه ، ٥٩، لم لا تكون النصبوة قبلت عندهم لأنها قابلة للقبول في نفسها لا لأنهم قبلوها فحسب؟

(٣) مفهوم النصص، مصدر سابق ، ابو زيد ، نر حامد ، ٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ،١٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ١٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ٦٧، وهو هنا لا يقد جسد النصبي الشريف، بل يقد فكر النصبي وهمومه و تطلعاته.

(٧) المصدر نفسه ، ٦٧ .

-يبدأ ضعيفا - ويسعى لمناهضة القديم، فـ"لم يكن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ينتمي في هذا الواقع إلى النمط المسيطر بنمط القيم السائدة فيه"[١]، بل كان منتميا إلى النمط الجديد المتمثل في "الأحناف" الذي "كان تجسيدا لنزوع ما لاتجاه جديد في رؤية العالم... الاتجاه الجديد النقيض للاتجاه السائد في المجتمع والفكر على السواء"[٢].

فالنبي فارق قومه والأحناف فارقوا، والنبي تحنث وهم كذلك ، والنبي بحث عن دين إبراهيم وهم كذلك.

٢- دين إبراهيم الخليل (عليه السلام)

لماذا العودة إلى دين إبراهيم؟[٣]

بسبب الظروف الاقتصادية والسياسية الصعبة قرر محمد أن يختار الإسلام (ملة إبراهيم) كبديل عن النمط السائد، نمط الجاهلية، حيث إنّ اختيار الإسلام لم يحصل إلّا ليحقق لهم المكاسب الاقتصادية التي تحفظ للعرب هويتهم الخاصة، فكان لا بد لهم من التوحد في نمط جديد (هو الإسلام).

- ثانيًا : البواعث على تأليف الكتاب

- أمّا فيما يخص كتابه هذا، فهدفه منه كما وضح في المقدمة هو إعادة صياغة لمفهومي القرآن والإسلام، حيث يقول:

" إن البحث عن مفهوم النص ليس في حقيقته إلّا بحثا عن ماهية القرآن وطبيعته بوصفه نصا لغويا... فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس"[٤]؛ ولذلك: "تستهدف هذه

(١) مفهوم النص ، ٦٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ٧٢ .

(٣) لأن الله قال، ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ النصحل، ١٢٣، فاتباعه للحنيفية لم يحل ابتداء منه ولا جاء بعد تأمل دقيق وترجيح بين الأديان تول في النصهاية إلى اختيار الحنيفية، كيف والقرآن يقول له، (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) بل حل بهداية الله له إليها، وبوحي الله إليه بوجوب اتباع هذا الدين، وهذا هو معنى التسليط المذكور في الآية، فالاختيار عائد إلى الله وليس للنبي نفسه.

(٤) مفهوم النص، مصدر سابق ، ابو زيد ، نر حامد ،٢٣ .

الدراسة تحقيق هدفين، أمّا أولهما : فهو إعادة ربط الدراسات القرآنية بمجال الدراسات الأدبية والنقدية بعد أن انفصلت عنها... وعلى ذلك تقع هذه الدراسة في صميم الدرس الأدبي"[١] ، إذ " بلورة مفهوم للنص قد يزيل بعض جوانب هذا التعتيم"[٢] ، "ومحاولة لاستقطار دلالة التراث لتأصيل مفهوم معاصر للنص"[٣] .

لأنّه يرى بأنّ نص القرآن منتج ثقافي، أي إنّ مادته ، ومعانيه "صنعة" و"إنتاج" من تلك الصنعات الثقافية للثقافة التي "شكلت" نص القرآن.

أمّا الهدف الثاني فهو: "محاولة تحديد مفهوم موضوعي للإسلام، مفهوم يتجاوز الطروح الأيديولوجية"[٤]، و "إنّ دراستنا لمفهوم النص سعي لتحديد ماهية الإسلام"[٥] .

وهو في إعادة صياغته لهذين المفهومين يدعي أنّه سيدخل من مدخل اللغة بوصفها تجسيدا لتصورات الثقافة –التي صيغ فيها نص القرآن– وأفكارِها، فيقول:

"ومن الطبيعي أن يكون المدخل لدرس النص القرآني مدخل الواقع والثقافة... الواقع الذي ينتظم حركة البشر المخاطبين بالنص ، وينتظم المستقبل الأول للنص وهو الرسول، والثقافة التي تتجسد في اللغة ، بهذا المعنى يكون البدء في دراسة النص بالثقافة والواقع بمثابة بدء بالحقائق الإمبريقية "[٦] ، ثم قال: "ومن أجل الكشف عن هذا التداخل العلاقي بين النص والثقافة تعتمد هذه الدراسة بصفة أساسية المدخل اللغوي"[٧] .

فهو يرى بأنّ الثقافة السائدة متجلية في النصوص اللغوية، وإنّ حقيقة هذا الكلام هي دلالات القرآن على الأحكام الشرعية التي لا تصلح لكل زمان ومكان، بل حتى لا تصلح إلّا لزمان واحد ومكان واحد وهو زمان نزول القرآن ومكان تنزله.

(١) مفهوم النص ، ٢١– ٢٢.
(٢) المصدر نفسه ، ١٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ٢٢.
(٤) المصدر نفسه ، ٢٢.
(٥) المصدر نفسه ، ٣٠.
(٦) مفهوم النصص، مصدر سابق ، ابو زيد ، نر حامد ، ٢٧.
(٧) المصدر نفسه ، ٢٨.

ثالثًا: علوم القرآن وتاريخيّة النص

وعلى أية حال، وجد أبو زيد في بعض العلوم القرآنية مبتغاه، وكان أبرزها:

١- المكّي والمدني: يرى أبو زيد ((ان التفرقة بين المكي والمدني في النص تفرقة بين مرحلتين هامتين اسهمتا في تشكيل النص سواء على مستوى المضمون أم على مستوى التركيب والبناء، وليس لذلك من دلالة سوى أنّ النص ثمرة للتفاعل مع الواقع الحيّ التاريخي))[١].

بهذه الكلمات يفتتح أبو زيد دراسته للمكي والمدني، مؤكّدًا تاريخية النص وجدله مع الواقع، وقد وجد في الفقهاء عينةً جيدة لتأكيد نزعته، حيث رآهم معتنين بالمكي والمدني، ومن مثل أسباب النزول ؛ لكي يحلّوا مشاكل دلالية من نوع الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد ، بيد أنّه يتحفظ على الاعتماد على المدخل الفقهي في دراسة هذا الموضوع ؛ لأنّه يوجب اضطرابات مفهومية خاصة[٢].

وفي إطار تحليله للمائز المفترض بين المكي المدني، يذهب أبو زيد في منهجة وضع معيار لعملية التصنيف الى تكوين مزدوج يربط فيه بين النص ذاته، وبين الواقع، فالنص من حيث بنائه ومضمونه، يقف الى جانب حركته المتصلة بحركة الواقع عنصرًا أساسيًا لإيجاد تصنيف يحدّد المكي من المدني، دون أن يرى في هذا المعيار أساسًا حدّيًا يشبه الفرز الرياضي للأمور، وهو من هنا يجد في ((الهجرة)) العنصر الفاصل بين النوعين من حيث مكية ما قبلها ومدنية ما بعدها، بوصفهاأي الهجرةعاملًا محوّلًا للواقع[٣] .

ولعل أبو زيد لم يأت بجديد على صعيد وضع ميزان للتفرقة بين المكي والمدني، فالخصائص البنائية والمضمونية للنص كانت ملحوظة للعلماء قبل ذلك ؛ ولهذا تحدّثوا عن

(١) مفهوم النصص، مصدر سابق ، ابو زيد ، نر حامد ، ٥٧ .

(٢) المصدر نفسه، ٧٦. وينظر، مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني / ط٢، دار الكتب العلميةبيروت، ١٤٢٤هـ، ١/ ٢٥٨- ٢٩٢.

(٣) ينظر، الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ،جلال الدين، تحقيق محمّد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العرية، لبنان، ١٩٨٨م، ١ / ٤٧.

طول السورة وقصرها، وعن مراعاة الفاصلة، وعن خطاب يا أيها الناس وخطاب يا أيها المؤمنون، وعن تفصيل الشريعة وإجمالها.. كما أنّ خصائص مراعاة الواقع كانت موجودة في وعي العلماء المشتغلين بالقرآنيات، فقد وجدوا في جدال النصارى واليهود علامةً لمدنية السورة انطلاقًا من احتكاك الدعوة بهم بعد الهجرة، فيما كانت آيات الانذار والتنديد والنكير على عبادة الاصنام .. مظهرًا لمكيّة السورة انطلاقًا من احتكاك مماثل مع وثنيي قريش، الى غيرها من العلاقات [1].

وأنّ ربط أبو زيد المكي والمدني وفق ما تقدم، يضعه أمام اجتهاد في القرآنيات يبعده عن مجرّد عمليات الترجيح ما بين الروايات التي مارسها القدماء، وهو اجتهاد يضع معيارًا جديدًا يرفع الحظر عن تحليل آخر للمكي والمدني، يضعه في خانة جدل القارئ والنص .

ومن هنا ينكر أبو زيد المنهج التلفيقي الذي استعمله القدماء للجمع بين الروايات بادعاء نـزول آية واحدة مرتين، إحداها في مكة والأخرى في المدينة، إنّ هذا المنهج كان مجرّد محاولة فرار من تضارب الروايات بخلق مقولة تجمعها جميعًا دون أن يكون هناك من دليل ثالث يفترض ظاهرة الجمع نفسها ، ثم ما يقوله أبو زيد نقطة جديرة بفتح نقاش حولها، دون سدّ الباب بالكلية على احتمال تكرّر النـزول كما فعله هو نفسه، إنّ عملية نقدنا لظواهر الجمع العشوائية والتي يطلق عليها علم أصول الفقه الشيعي عبارة ((الجمع التبرّعي))[2]، تنطلق من تأييد أبو زيد في تحليله السيكولوجي لمواقف العلماء الذين ارتؤوا هذا النوع من الجمع، إنّ تقديس السند، والوقوف عند الرواة هو الذي فعل ذلك ، وجعل أي محاولة تحافظ على نص أي نص موروث خطوة مشكورة مهما ضعفت الشواهد عليها، إنّ افتراض امكانية تكرر النـزول لا يبرر هذا التفسير، الذي لا تشهد له المستندات التاريخية حيث لم يتحدّث الصحابة فيما هو ثابت عنهم والقدماء أنفسهم عن ظاهرة كهذه إلّا في حالات

(١) ينظر، الاتقان في علوم القرآن، ١/ ٤٩ .

(٢) ينظر، فوائد الأول، النصائيني ، الميرزا محمد حسين، بقلم الشيخ محمد علي الكاظمي، مؤسسة النصشر الإسلامي التابعة لجماعة المصدرسين، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ، ٣/ ٥١ وينظر، أول الفقه، المظفر، للشيخ محمد رضا، ٢/ ٢٠١-٢٠٤.

معدودة جدًا، ثم يكون الجمع في نتيجته محاولة حلّ مشكلة في إطار احتمال لا دليلًا على تكرّر النزول، الأمر الذي إذا لاحظنا خلفياته سنجده ينسحب على العديد من آليات الاجتهاد نفسها في الفقه والتاريخ[١].

لا نريد مجرّد تحليل الموقف كما فعله أبو زيد من زاوية نفسية أو... مكتفين بمجرّد استبعاد تكرّر النزول، وإن كان تحليلًا منطقيًا ، غير أنّ القنوع بمجرد استبعاد تكرر النزول لا ينسجم مع نظرية أبو زيد ؛ لأنّه ما دام النص على علاقة بالواقع، وما دام (لنثبت به فؤادك) قائمًا، فإنّ تكرار آيةٍ نزولًا أمرٌ منطقي وعقلاني، ما دام نزول الآية لا يهدف دائمًا لتقديم معطى خبري جديد، بل لممارسة دور اجتماعي ونفسي أيضًا، وفي هذا انسجام تام مع ربط النص بالواقع[٢].

إنّما نريد إحداث ثغرة في الموضوع على صعيد الجوانب الدلالية والشواهد التاريخية، انطلاقًا من التفرقة بين مجرد احتمال تكرر النزول لرفع تناقض مستوحى بين روايتين، وكون الروايتين فعلًا تدلان على تكرار النزول، إنّ الأمر على المنوال نفسه في آليات الاجتهاد الفقهي، وإن قدّم الأصوليون تبريراتهم الخاصة التي لا نناقش فيها فعلًا ، إنّ مجيء المخصّص المنفصل يدفع العلماء للأخذ بنتيجة جديدة لا يدل عليها لا العام ولا المخصّص، فإذا قلنا: ((أكرم العلماء))، ثم بعد عشرة أعوام قلنا: ((لا تكرم فساق العلماء))، فإنّ جملة " أكرم العلماء إلاّ الفسّاق منهم" ستكون معطى جديدًا لا يفهمه أحد لا من العام ولا الخاص، أي هذه الجملة غير موجودة في أي نص، ومن ثم فتبرير وجودها يحتاج الى دليل كقواعد الجمع العرفي الأصولية، لا فقط الى ثبوت كلا النصّين على حدة العام والخاص، وهذا ما يجعلنا في موضوعنا القرآني بحاجة إلى دليل خارج كلا النصين الدالين على النزول يفسّر فكرة التكرّر التي لم يشر إليها النصان معًا في خطوة غير مفهومة في ديمومتها[٣].

(١) الدرس القرآني وتجاذبات المناهج – قراءة في علوم القرآن عند د. نر حامد أبو زيد حيدر حبّ الله (الموقع الرسمي للشيخ حيدر حب الله)

(٢) مفهوم النصص، مصدر سابق ، ابو زيد ، نر حامد ، ٩٨

(٣) الدرس القرآني وتجاذبات المناهج – قراءة في علوم القرآن عند د. نر حامد أبو زيد حيدر حبّ الله (الموقع الرسمي للشيخ حيدر حب الله)

٢- أسباب النزول: يرى أبو زيد أنّ علم أسباب النزول ((أبرز العلوم الدالة والكاشفة عن علاقة النص بالواقع وجدله معه))[١] ، والأمر كذلك، إنّ النص القرآني يتابع عبر منظومة أسباب النزول حركة الواقع ويستجيب لها ، وليست بينه وبينها قطيعة أو خصام، واذا كان تثبيت قلب النبي سببًا لنزول القرآن نجومًا، فإن جعل استجابة أحوال المكلفين هي الاساس في ذلك هو المعطى المنطقي لظاهرة التنجيم[٢]، وعندما يدخل أبو زيد مدار الجدل الكلامي في أنّ الله عالم بالوقائع جميعها قبل وقوعها، فلماذا يكون التنجيم مراعاة لحركة الوقائع والاسباب؟ فإنّ مفرّه حينئذٍ هو الفعل الالهي، إنّه يريد الخروج من نطاق صفة الذات (العلم) الى نطاق صفة الفعل (الكلام) مما يخلع على النص (القرآن) في المحصّلة النهائية سمة زمكانية تاريخية، إنّ علماء القرآن انتبهوا باكرًا لأهمية التنجيم انطلاقًا من حاجاتهم العلمية، حيث وجدوا فيه معينًا على معرفة الناسخ من المنسوخ و... لكن اعطاء هذه المحاولة الخجولة طابعًا كليًا قواعديًا أمر لم يتحقق مع الاسف كما يقول ابو زيد، ثم كان سببه عنده سيطرة الاتجاهات الرجعية على مجمل التراث [٣] .

وإذا ربط أبو زيد النص بأسباب النزول، فإنّه لم يعجزه عن امتلاك قدرة التعميم، انطلاقًا من قناعته أنّ اللغة قادرة على تجاوز الوقائع الجزئية [٤].

إنّ هذا المزدوج الذي يقدمه أبو زيد يبدو فيه متحفظًا قياسًا بالتيارات الأخرى في الفكر الاسلامي المعاصر، فعندما يقدّم برهانًا لغويًا من اختصاصه على عملية التعميم، فهو يحافظ على شمولية النص ، ولا يُفْرط في الأخذ بتاريخيته كما فعل فريق معاصر، لكنه كان يخشى إهدار خصوصية السبب لصالح عمومية النص[٥]، حتى لا يبدو النص غيبيًا على قطيعة مع الواقع كاملة ؛ ولهذا ركّز على أسباب النزول بوصفها شواهد لفهم النص

(١) مفهوم النص، مصدر سابق ، ابو زيد ، نر حامد ، ٩٧.
(٢) مفهوم النص، مصدر سابق ، ابو زيد ، نر حامد،٩٩.
(٣) المصدر نفسه، ٩٩-١٠٠
(٤) المصدر نفسه ، ١٠٢١٠٨.
(٥) المصدر نفسه،٢٠٤.

ذاته بغية تحديد درجة التعميم ؛ لأنّ سبب النزول يحدّد المناخ الذي جاء النص في سياقه، ومن ثم لم يعد بالإمكان فهم النص بمعزل عنه ما دام يشكل بالنسبة للمؤلف عنصرًا لفهم كلامه، مما يسمّيه الاصوليون ((السياق المقامي والحالي وغير اللفظي))[1].

وإذا ما نجح أبو زيد في تحليل بناء اللغة ونظامها من حيث قدرتها على التعميم الذي يتجاوز خصوصية السبب، فإنّ هذا التحليل لا يحلّ المشكلة تمامًا، ذلك أنّها مشكلة أكثر تعقيدًا مما نتصوّر حتى لو كانت اللغة مجهّزة بطبيعتها بطاقة التعميم.

إنّ مشكلتنا ليست فقط في اللغة نفسها، وفي إمكانية أن يريد المؤلف مدلولًا عامًا يتخطّى السبب، بل في علاقتنا نحن بالنص من حيث كونه مرتبطًا بالواقع، فإذا فصلنا النص عن الواقع صار الأمر سهلًا، وكانت علاقتنا حينئذٍ مع النص فحسب، وهناك يمكن تحديد كل عناصر الدلالة ما دام النص بين أيدينا، أمّا عندما نربط النص بالواقع فهذا يعني أنّ دلالات النص لم تعد فقط ما يتراءى لنا، وإنّما أصبحنا مضطرين كقرّاء لدرس الواقع المحيط مقدّمة لفهم دلالات النص، لكن الواقع غير منكشف لنا بتمام زواياه ومن ثم فقدرتنا على فهم النص تغدو محدودة ، وإنّ روايات أسباب النزول ليست حسامًا يفصل الأمور كلّها ويبتّ فيها، حتى لو قلنا بأنها صادرة وواصلة إلينا على البتّ واليقين ؛ لأنّ النقولات التاريخية عادةً لا تحتوي على مجموعة من العناصر طبيعتها أنها مرتكزة مستكنّة في العقل الجمعي ، والوعي الاجتماعي العام مما يجعل الناقل مستغنيًا عن نقلها ما دامت حاضرة لدى الأطراف كافة في عملية التحاور، وعندما تحصل التحوّلات الاجتماعية الشاملة تظهر هذه المعالم المركوزة في الذهن العام ، وتثير تساؤلات عن مدى دخالتها في النص نفسه سيما على الصعيد التشريعي، وهنا من العسير تقديم شواهد ترفع احتمال دخالتها، الأمر الذي يجعل النص عاجزًاوفق فهمنا لها على التعميم المؤكّد، وإن كان قادرًا ببنائه اللغوي على جعلنا نحسّ بأننا ما نزال رغم مضي الزمن عليه مخاطبين به[2] .

(١) الدرس القرآني وتجاذبات المناهج – قراءة في علوم القرآن عند د. نصر حامد أبو زيد حيدر حبّ الله (الموقع الرسمي للشيخ حيدر حب الله) .
(٢) المصدر نفسه .

ويبدو أنّ غرض أبو زيد فيما أتى به في (مفهوم النص) هنا هو ما تكشفه كلماته في (التاريخية: المفهوم الملتبس) من كتابه (النص والسلطة والحقيقة)، وإنّ طرحه مسألة تاريخية القرآن دفعت، أو من المتوقع أن تدفع الطرف الآخر للحديث عن هدم مبدأ (عموم الدلالة)، ثم إحالة النص القرآني إلى (الحفريات)، وهو خلط يراه أبو زيد جهلًا يمزج بين أنماط مختلفة من الدلالة، ويرى أنّ النصوص الممتازة قادرة على التواصل دلاليًا مع أجيال عديدة كما هو حاصل فعلًا [١]؛ ولذلك أكد أبو زيدفي درسه خصوصية السبب على عمومية الدلالة، محاولًا في موضع آخر تحليل البناءات الفلسفية اللغوية للتصوّرات النقيضة في إطار قراءته لمعطيات (الفريد دي سوسير) العالم السويسري المعروف[٢].

وإذا ما سلّطت معاول الهدم على روايات أسباب النزول في عملية حفر وتنقيب نقدية، فإنّ أبو زيد لا يشعر بالقلق؛ لأنّ ما يعنيه ليس مفردةً ما يحاول استنطاق النص فيها ، وإنّما منهجًا، أي هو يريد مبدأ جدل النص / الواقع ، مهما كانت العقبات الميدانية كبيرة أمام تحقيق هذا المنهج على الصعيد الاستكشافي الميداني ، علاوة على أنّ أبو زيد استعمل هذه المرّة أيضًا المنهج الاجتهادي في تحديد أسباب النزول ؛ محاولًا تخطي عقبات المنهج التاريخي المدرسي في ملاحقة روايات النزول والتورط من ثم في تلفيقات تشبه ما حصل في المكي والمدني[٣].

٣- الناسخ والمنسوخ: يصنّف أبو زيد ظاهرة النسخ بوصفها أكبر دليل على جدلية العلاقة بين الوحي والواقع[٤] ؛ ذلك إنّ احدى زوايا هذه الظاهرة تتمثل في عملية التدرّج في بيان الاحكام وتطبيق عملية التغيير، وهو امرٌ يربط شئنا أم أبينا بين النص والواقع[٥] ، وبتحديد وظيفة النسخ تتضح هذه العلاقة المتينة.

(١) النص، السلطة، الحقيقة ، ابو زيد ، نصر حامد ، ، (ط٣، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء، ١٩٩٧)،٧٥.
(٢) المصدر نفسه، ٧٩-٨٠
(٣) مفهوم النص، مصدر سابق ، ابو زيد ، نصر حامد ،١٠٨١١٥.
(٤) المصدر نفسه، ٢١٤
(٥) المصدر نفسه،٢٢٠.

وفي سياق استعراض على غرار ما فعل في المكي والمدني وأسباب النزول معيار تحديد الناسخ والمنسوخ، لا يرفض أبو زيد الحاجة الشديدة الى المعرفة التاريخية الدقيقة بأسباب النزول وترتيبه[١]، لكنّه يعيد هنا الجدل نفسه الذي دخله في عملية التحديد من قبل، ويناقش الجمود على الروايات ، واستعمال منطق تبريريّ لها[٢].

لكن الشيء الملفت عند أبو زيد إصراره على وجود سرّ وراء إبقاء الآية المنسوخة قرآنًا متلوًّا بين المسلمين، وهومن وجهة نظره فتح في مجال إعادة تفعيل الآية المنسوخة عندما تعود ظروفها مرّة أخرى، وفي هذا ربط للنص بالواقع من أكثر من جهة، وهو ما يضع الناسخ في دائرة المنسأ على الدوام[٣].

لكن هذا التحليل يضعنا أمام تفسير جديد يغير مفهوم الناسخ والمنسوخ رأسًا، وهو تغيير لا نستنكره فعلًا ، وإنّما نحاول تلمّس معالمه، إنّ تفسير بقاء المنسوخ على أنّه إعادة تفعيل لدوره على تقدير عود الظروف المشابهة ، يعني أنّ النص المنسوخ لم يمت الى الأبد كما توحيه كلمات علماء القرآن والأصول[٤]، ومن ثم فهو باقٍ، كلّ ما في الأمر أن موضوعه وظرفه الذي يجعله حكماً فعليًا قائمًا عمليًا قد تجمّد ، وهذا يعني أنّ عودة ظرفه تعيده الى حالة الفعلية هذه ، وهذه العملية تضع التشريعات كلّها تقريبًاإن لم نقل تحقيقًاتحت سلطان ثنائي الناسخ والمنسوخ، ومن ثم، فلا تعني حالات النسخ المذكورة تاريخيًا صيغة نهائية، وإنّما مجرّد مثال تحقق في تلك الظروف، كما أنّ هذا ما يلغي تمامًا الفكرة التي تقول بأنّ النسخ ظاهرة مختصة بزمن النبي ؛ لأنّ المفهوم الذي قدّمناه للنسخ نوع مفهوم متحرّك،

(١) مفهوم النص، مصدر سابق ، ابو زيد ، نصر حامد ،١٢١.
(٢) المصدر نفسه، ١٢٦١٢٧.
(٣) المصدر نفسه، ١٢٢١٢٣
(٤) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت، ٧٩٤هـ) / تحقيق ، مصطفى عبد القادر عطا، ط١ ، دار الكتب العلميةبيروت ١٤٢٨هـ ، ٢ / ٤٢٤٣، وينظر، ٧-التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي، فخر الدين محمد عمر بن الحسين (ت، ٦٠٦هـ)، دار احياء التراث العربي بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ٣/ ٢٢٧ ، وينظر، الذريعة إلى أول الشريعة، علم الهدى، السيد المرتضى، تحقيق أبو القاسم كرجي، نشر جامعة طهران، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ١ / ٤١٤، وينظر، العدّة في أول الفقه، الطوسي، محمد بن الحسن، تحقيق محمد رضا الأناري القمّي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ٢ / ٤٨٦

يمكن تطبيقه في كل زمان، فلو فرضنا أنّ أحدًا من المسلمين لم يكن مستطيعًا للحج ، وأنّ هذا الوضع استمر لعدة سنوات فهذا يعني أنّ حكم وجوب الحج قد تجمّد، والفائدة من الابقاء على آية وجوبه في القرآن ليس سوى مؤشّر على عودة هذا الوجوب الى الحياة والتحريك عندما تعود حالة الاستطاعة ولو إلى مسلم واحد مثلًا [١] .

أمّا الموضوع الثاني الذي تناوله المؤلف وهو طريقة معالجته لمفهومي النص والإسلام ، فقد بيّن المؤلف أنّ هذه الدراسة تدرس مفهوم النص عبر أمرين:

الأول: التصورات والمفاهيم الموروثة التي صاغتها الثقافة العربية عن القرآن .

الثاني: المفاهيم التي يطرحها النص نفسه.

و الفصل بين الأمرين تعسفي غير ممكن، لأنه إذا كنا نريد دراسة القرآن فلا بد أن نرى ما هي التصورات التي كانت شائعة عنه عند تشكله في الثقافة التي أنتجته ، وفي الثقافة التي شكلها النص فيما بعد ، فهذا "لا يتعارض مع تحليل النص عن طريق فهم الثقافة التي ينتمي إليها " ، فلا بد عند دراسة النص أن ندرس معه التصورات التي تشكلت حوله من قبل أهل ثقافته حتى و إن كانت خاطئة من وجهة نظر العلم الطبيعي الصحيح المعتبر عند المؤلف، والمتمثل في النظرة المادية "الديالكتيكية" للتراث[٢].

النص والتحوّل الوظيفي :

يفرد الدكتور نصر حامد أبو زيد الفصل الأخير من كتابه (مفهوم النصّ) لدراسة ما يراه التحوّل الوظيفي في النص، مركزًا جهوده جميعها على تجربة ابي حامد الغزالي (٥٠٥هـ) بوصفه نقطة التحوّل المذكور.

(١) الدرس القرآني وتجاذبات المناهج – قراءة في علوم القرآن عند د. نصر حامد أبو زيد حيدر حبّ الله (الموقع الرسمي للشيخ حيدر حب الله) .
(٢) المصدر نفسه.

لقد أحدث الامام الغزالي في كتابه (جواهر القرآن)كما اعتمده أبو زيدتحوّلًا كبيرًا في فهم وظائف النص وطبيعته، فبعد أن كان عملية نزول من عند الله إلى الانسان تهدف الإفصاح، تحوّلت الى حركة صعودية سعيًا الى الله، وأدّى ذلك بشكل تلقائي الى انصراف الانسان لبناء حياته الأخروية بوصفها المنقلب الذي سيؤول اليه، معرضًا عن بناء الحياة الدنيوية واعادة تشكيل الواقع بهدف صنع الحياة وإشباع الحاجات جميعها[1].

أدى التحوّل المذكور الى أن يصبح الهدف من النص هو قائله، وأُعرض عن المخاطَب الذي هو الانسان نفسه، وتحوّلت الحركة تلقائيًا مما سبب انحرافًا كبيرًا.

كان ذلك مع الامام الغزالي قبل ابن عربي (٦٣٨هـ) بقرن من الزمن، فهناك اختلطت المدرسة الاشعرية بالمنحى الصوفي[2]، وتنطلق تصورات الغزالي فيما يراه أبو زيدمن ثنائي الدنيا والآخرة، وهو ثنائي أحدث الغزالي بينه قطيعة، ومن الدنيا والآخرة جاءت مقولة الظاهر والباطن عند الغزالي لتعيد تصنيف علوم القرآن من جديد.

إذ وضع الغزالي تقسيمه لعلوم القرآن وفق نظام ثنائي الظاهر والباطن، فيقسّمها الى علوم اللباب وعلوم القشر والصدف في علوم القشر والصدف، هناك علم مخارج الحروف، يليه صعودًا علم اللغة، فعلم النحو، فعلم القراءات، فعلم التفسير الظاهر.

أمّا علوم اللباب فهي الأخرى ذات طبقتين سفلى وعليا:

١- أمّا السفلى فقصص القرآن عن الانبياء والكفار، وعلم الكلام، وعلم الفقه.

٢- وأمّا العليا فهي معرفة الله، ومعرفة طريق السلوك اليه، ومعرفة الحال عند الوصول (الثواب والعقاب).

وتحتل معرفة الله المرتبة العليا، تبدأ من معرفة الافعال الالهية في عالمي الغيب والشهادة، وتمرّ بمعرفة الصفات، لتصل إلى أرقى معرفة ألا وهي معرفة الذات.

وعبر هذه الطريقة، أصبحت علوم الفقه والتفسير والكلام علومًا دونية، فيما كانت

(١) مفهوم النص، مصدر سابق ، ابو زيد ، نصر حامد ، ٢٤٥.
(٢) المصدر نفسه، ٢٤٦.

معرفة الله، أي تلك المعرفة التي يبلغها الصوفي والعارف، هي الأساس الذي لا ترقى اليه معرفة أخرى.

واذا ما ضممناكما فعل أبو زيدمبدأ التوحيد بين القرآن والصفات الالهية لغدا النص القرآني بدوره بحرًا من الاسرار والعلوم التي لا حصر لها[١]، وعبر ذلك يتم انتاج المنهج الرمزي ومسالك التأويل الباطني، عبر مزدوج أشعري صوفي كما لاحظنا[٢].

الخاتمة

بعد الغور في هذا الموضوع القرآني والاطلاع على كل متعلقاته وحيثياته ، والغوص في أعماقه قدر الامكان وحسب سعة البحث فقد خرج البحث بعدة نتائج وثمرات يمكن ذكر أبرزها وهي:

تبين عبر البحث أنّ الدكتور نصر حامد ابو زيد قد نشأ في بيئة ريفية فقيرة وليس في بيئة علمية كحال أكثر المؤلفين، ولكنه بذكائه وفطنته قد صنع لنفسه اسمًا بين أسماء الباحثين والمؤلفين.

تبين انّ الدكتور نصر حامد ابو زيد قد حصل على العديد من الجوائز وهذا ما مذكور ضمن طيات البحث وهذا الأمر يدل على تفوقه الذهني.

قام البحث بعرض مباحث كتاب مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن) ومناقشتها والرد عليها ؛ لأنّها لا تدور في محور صحيح.

توصل البحث الى أبرز الفوائد التي دعت المؤلف الى تأليف هذا الكتاب والبواعث التي حثته عليها.

تبين أنّ الدكتور نصر حامد ابو زيد عن طريق عرضه لمباحث علوم القرآن والوحي استطاع أن يقلب الموازين على ما هو متعارف عليه عند الباحثين في هذا المجال لذا فأغلب ابحاثه مرفوضة عقلًا.

(١) مفهوم النص، مصدر سابق ، ابو زيد ، نصر حامد ،٢٥٤٢٥٥.
(٢) المصدر نفسه ، ٢٥٦٢٥٧.

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الاتقان في علوم القرآن،السيوطي ، جلال الدين ،تحقيق محمّد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ١٩٨٨م.

٣. أصول الفقه، المظفر ، محمد رضا ، (د، ط)، (د، ت).

٤. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت، ٧٩٤هـ)،تح، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلميةبيروت ، ١٤٢٨هـ.

٥. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي، فخر الدين محمد عمر بن الحسين (ت، ٦٠٦هـ)، دار احياء التراث العربيبيروت، (د، ط)، (د، ت).

٦. الذريعة إلى أصول الشريعة، علم الهدى،السيد مرتضيتحقيق أبو القاسم كرجي، نشر جامعة طهران، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

٧. العدّة في أصول الفقه، الطوسي ، محمد بن الحسن ، تحقيق محمد رضا الأنصاري القمّي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٨. فوائد الأصول، بقلم الشيخ محمد علي الكاظمي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٩. مفهوم النص ، ابو زيد، نصر حامد، (ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠م)

١٠. مفهوم النص للدكتور نصر حامد أبو زيد – عرض ونقد – ، الشريجي محمد يوسف .

١١. مناهل العرفان في علوم القرآن الزرقاني، محمد عبد العظيم، / ط ٢،دار الكتب العلمية بيروت ،١٤٢٤هـ.

١٢. النص، السلطة، الحقيقة،ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ١٩٩٧.

ثانيًا: المواقع الالكترونية

١. الدرس القرآني وتجاذبات المناهج – قراءة في علوم القرآن عند د، نصر حامد أبو زيد حيدر حبّ الله (الموقع الرسمي للشيخ حيدر حب الله)
https://ar.m.wikipedia.org/wiki/نصر_حامد_أبو_زيد

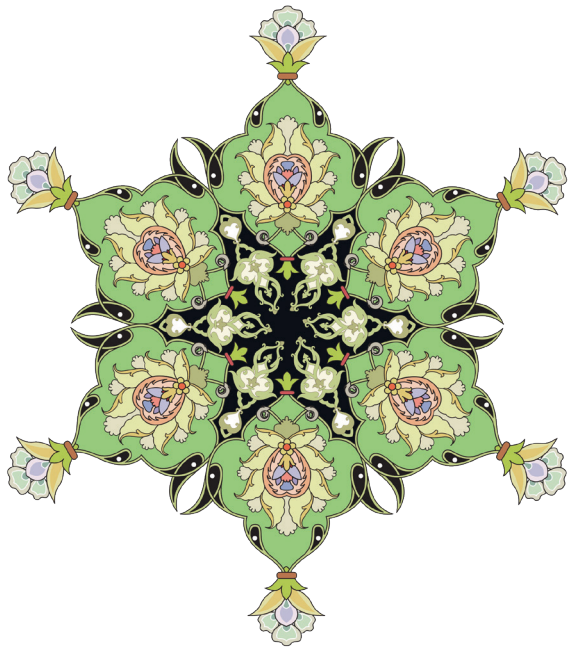

إن مع العسر يسرا